الدرس الرابع

مـــن كتـــــاب إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم ،

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين

مرحبا بكم أيها الجمع الطيب المبارك

لما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد وكانوا في أثناء الطريق .. ندموا فيما بينهم ، وقال بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئا أصبتم شوكتهم ثم تركتموهم وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا حتى نستأصلهم

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهب أعداء الله من كفار قريش ، ويبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ،فلما كان الغد من يوم الأحد السادس عشر من شوال أمر رسول الله ﷺ مؤذنه أن يؤذن في الناس بالمسير إلى لقاء عدوهم

فأذن مؤذنه ألا يخرجن معنا إلا من شهد القتال

فقال عبد الله بن أبي : أركب معك؟

قـــــــــــال النبـــــــــــي ﷺ : لا

واستجاب المسلمون لرسول الله ﷺ على ما بهم من الجروح وقالوا : سمعا وطاعة

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا إلى حمراء الأسد وكان بينها وبين المدينة ثمانية أميال

واستعمل ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه

وأقبل [معبد بن أبي معبد] إلى رسول الله ﷺ فأسلم فأمره رسول الله ﷺ أن يلحق بأبي سفيان فيخذله ، فلحق أبو معبد بأبي سفيان ولم يعلم أبو سفيان بإسلامه

فقال أبو سفيان : ما وراءك يا معبد؟

فقال معبد : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا

أي يلتهبون غيظا عليكم

قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيئا لم أر مثله قط

والحنق : شدة الغيظ

فقال أبو سفيان : ويحك ما تقول؟

فقال معبد : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل

فقال أبا سفيان : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم

فقال معبد : فإني أنهاك عن ذلك لا تفعل فإني لك ناصح ، فأمر أبو سفيان من معه بالرجوع ، رجعوا إلى مكة ، وأقام ﷺ بحمراء الأسد ثلاثة أيام ثم رجع إلى المدينة ، وأرسل أبو سفيان رسالة إلى رسول الله ﷺ : أنا قد أجمعنا الكرة لنستأصله ونستئصل أصحابه

فلما بلغ ذلك النبي ﷺ

نزل قوله تعالى

"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"

وفي هذه السنة تزوج النبي ﷺ [زينب بنت جحش] رضي الله عنها بأمر الله تعالى لما انقضت عدتها من [زيد بن حارثة] رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ

وفيها نزل قوله تعالى

"وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا"

ولم يولم النبي ﷺ على شيء من نسائه كما أولم على زينب رضي الله عنها أولم بشاة ، وكانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي ﷺ

تقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وهي أول نساء الرسول ﷺ لحوقا به بعد وفاته ، توفيت سنة عشرين، ولما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ

ورسول الله ﷺ جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط فثقلوا على رسول الله ﷺ ، فخرج رسول الله ﷺ فسلم على نسائه ثم رجع فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه فأسرعوا الباب فخرجوا كلهم ، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل في الحجرة لم يلبث إلا يسيرا

ونزل قول الله تعالى

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا"

فحجبت نساء النبي ﷺ

وكانت الخمر من أفضل أشربة الناس في الجاهلية ، وكان الناس قد ألفوا شرب الخمر ، وكانوا ينتفعون بها كثيرا ، وقد علم الله سبحانه وتعالى أنه لو منعهم شرب الخمر دفعة واحدة لشق عليهم ، لذلك كان نزول تحريمها على مراحل

قالت عائشة رضي الله عنها : إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل

المفصل : من سورة (ق) إلى آخر المصحف

قالت عائشة : فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام

ثاب الناس إلى الإسلام : أي دخلوا وكثروا

ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا

ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، فنزل أول ما نزل

قول الله تعالى

"وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"

ثم نزل قول الله تعالى

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا"

ثم نزل قول الله تعالى

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ"

ثم نزل قول الله تعالى

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ"

فكان هذا تحريما قاطعا للخمر في الأوقات كلها ، فامتثل أصحاب رسول الله ﷺ لنهي الله سبحانه وتعالى عن شرب الخمر وسكبوا الخمر في سكك المدينة لما سمعوا مناديا ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت

فقال بعض الصحابة لبعض : قتل قوم والخمر في بطونهم

فأنزل الله تعالى قوله

"لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا"

لما بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة الأسدي وأخاه سلمة قد جمع حلفاءهم من بني أسد في حرب رسول الله ﷺ والنيل من أطراف المدينة ، بعث رسول الله ﷺ [أبا سلمة] رضي الله عنه ، وقال له سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا ، وخرج معه خمسون ومئة فلما انتهوا إلى أرض بني أسد تفرق المشركون وتركوا إبلا وغنما كثيرة فأخذها [أبو سلمة] رضي الله عنه وأسر منهم ثلاثة ثم رجع إلى المدينة

وفي الخامس من المحرم من السنة الرابعة من الهجرة بلغ رسول الله ﷺ أن [خالدا بن سفيان الهذلي] قد جمع الناس ليغزو رسول الله ﷺ فبعث رسول الله ﷺ [عبد الله بن أنيس] رضي الله عنه ليقتله ، فسأل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن صفته

فقال له النبي ﷺ : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة

أي شعرت برعدة وهيبة عندما تراه

فلما وصل إليه عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه خاف أن يشغله عن صلاة العصر فصلى وهو يمشي نحوه وكان يومئ برأسه فلما انتهى إليه ، قال له : من الرجل؟

قال عبد الله بن أنيس : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل

أي للنبي ﷺ ، فجاءك لذلك

فقال خالد : أجل أني لفي ذلك ، فمشى معه شيئا فلما تمكن منه قتله عبد الله بن أنيس ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ،فلما رآه النبي ﷺ قال له : أفلح الوجه ثم أعطاه عصا وقال له أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس فلما خرج عبد الله بن أنيس رضي الله عنه بالعصا على الناس سألوه : ما هذه العصا؟

فقال لهم : أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها

فقالوا له : أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله : لم ذلك؟

فرجع إلى رسول الله ﷺ

فقال له : يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟

فقال له ﷺ : آية بيني وبينك يوم القيامة

أي علامة بيني وبينك يوم القيامة

فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى مات وأمر بها فضمت معه في كفنه ثم دفنا جميعا

وفي شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة ، قدم على رسول الله ﷺ قوم من [بني خزيمة] وهم من : عضل والقارة

فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث رسول الله ﷺ معهم عشرة نفر وأمر عليهم [عاصما بن

ثابت] رضي الله عنه وكان فيهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق

فلما ذهبوا معهم وكانوا بالرجيع وهو : (موضع ماء لهذيل بناحية الحجاز) غدروا بهم وطلبوا النصر عليهم من هذيل فجاءهم مئة رام فلما رآهم [عاصم] وأصحابه لجؤوا إلى مكان مرتفع وأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، ولكن الكفار أحاطوا بهم من كل جانب

وقالوا لهم : انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدا

فقال عاصم : أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر

أي في عهد كافر

اللهم أخبر عنا نبيك ، فرموهم بالنبل فقتلوا [عاصما] وستة من أصحابه ، وبعث كفار مكة إليهم حين علموا بمقتل [عاصم] ليأتوا بشيء منه حتى يمثلوا به لأن عاصما رضي الله عنه كان قد قتل رجلا من عظماء المشركين يوم بدر ، فبعث الله عز وجل على [عاصم] مثل الظلة من الدبر

أي سحابة من ذكور النحل

فلم يقدروا على قطع شيء من لحمه فقالوا : دعوه يمسي حتى تذهب عنه فنأخذه ، فبعث الله عز وجل المطر فاحتمل عاصما فذهب به فبحثوا عنه فلم يجدوه ، وقد كان عاصم رضي الله عنه قد عاهد الله ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا ، ورضي ثلاثة من المسلمين بالعهد والميثاق وهم (خبيب الأنصاري ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق) ، فلما استمكنوا منهم قيدوهم

فقال عبد الله بن طارق : هذا أول الغدروأبى أن يصحبهم فقتلوه

وأما خبيب و زيد بن الدثنة ، فقدموا بهما إلى مكة وباعوهما ، فاشترى [الحارث بن عامر] خبيبا لأنه قتل الحارث بن عامر يوم بدرفلبث عندهم أسيرا ، وأما زيد بن الدثنة فاشتراه (صفوان بن أمية) ليقتله بأبيه أمية بن خلف وبعث به مع مولى له إلى التنعيم ليقتله فقتله ، وأما خبيب رضي الله عنه فمكث عند بني الحارث أسيرا إلى أن أجمعوا على قتله ، فلما أجمعوا على قتله خرجوا به إلى التنعيم ليقتلوه

فقال لهم خبيب : ذروني أركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين

ثم قال : لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها

(اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا)

أحصهم عددا : أي لا تبق منهم أحدا

واقتلهم بددا : أي واحدا تلو الآخر

ثم قال ، لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي ، لقد خيروني الكفر والموت دونه فقد ذرفت عيناي من غير مجزعي ، ما أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع ، ثم قتله ابن الحارث ، كان خبيب رضي الله عنه أول من سن هاتين الركعتين عند القتل ثم صلبوه ووكلوا به من يحرس جثته فجاء [عمرو بن أمية] رضي الله عنه فاحتمله بجذعه ليلا فذهب به ودفنه

تقول امرأة من بني الحارث والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده وأنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر إنه لرزق من الله رزقه خبيبا

واستجاب الله عز وجل لعاصم بن ثابت يوم قتل فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا

وفي شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة قدم عامر بن مالك على رسول الله ﷺ المدينة فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام

وقال : يا رسول الله ، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى دينك لرجوت أن يستجيبوا لك

فقال النبي ﷺ : إني أخشى عليهم أهل نجد

فقال عامر : أنا لهم جار

أي هم في حمايتي وأماني

قال عامر : فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك

فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا من أصحابه وأمر عليهم المنذر بن عمرو] وكانوا من خيار المسلمين ، وفضلائهم ، وقرائهم .. فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فبعثوا [حراما بن ملحان] بكتاب إلى رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في كتابه وأمر رجلا فطعنه من خلفه

فقال حرام بن ملحان رضي الله عنه حينئذ : الله أكبر فزت ورب الكعبة

ثم استنفر عامر بن الطفيل [بني عامر] إلى قتال الباقين فلم يجيبوه لأجل جوار عامر بن مالك

فاستنفر [بني سليم] فأجابته عصية ، ورعل ، وذكوان فجاؤوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ فقتلوهم جميعا إلا [كعب بن زيد] رضي الله عنه ، فإنهم تركوه وبه رمق فرفع من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق

وكان [عمرو بن أمية الضمري] و [المنذر بن محمد] في صرح المسلمين

أي في رعي إبل ومواشي المسلمين

فلم ينبئهما بمقتل أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر

فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا فوجدا أصحابهما بدمائهم قد قتلوا ووجدا القوم الذين قتلوهم لم يذهبوا

فقال المنذر بن محمد لعمرو بن أمية : ما ترى؟

قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر

فقال المنذر: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن مثل هذا الموطن ثم قاتل القوم حتى قتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من [مضر] أطلقه عامر بن الطفيل ورجع عمرو بن أمية الضمري إلى رسول الله ﷺ ، وفي طريقه نحو المدينة نزل في ظل شجرة فجاء رجلان من بني كلاب فنزلا معه فلما ناما قتلهما عمرو رضي الله عنه وهو يظن أنه قد أصاب ثأر أصحابه فوجد معهما عهدا من رسول الله ﷺ لم يعلم به

فلما قدم المدينة أخبر رسول الله ﷺ بما فعل

فقال رسول الله ﷺ : لقد قتلت قتيلين لأدينهما

أي لأدفع ديتهما

ونزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فأخبره بمقتل أصحابه قبل أن يأتيه خبرهم ، ونزل فيهم قرآن : أن بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا ، ثم نسخ هذا القرآن

وظل رسول الله ﷺ يقنت في صلاته شهرا بعد الركوع يدعو على الذين قتلوا أصحابه القراء ببئر معونة

قال أبو سفيان بن حرب لنفر من قريش بمكة : ما أحد يغتال محمدا ؟ فإنه يمشي في الأسواق وندرك ثأرنا

فأتاه رجل وقال له : إن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله فأعطاه أبو سفيان بعيرا ونفقة

وقال له : اطو أمرك إني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد

يعني يبلغه إلى رسول الله ﷺ

فقال الرجل : لا يعلمه أحد

فخرج الرجل حتى أتى المدينة فلما رآه رسول الله ﷺ

قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد

ووقف الرجل وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟

قال له رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب

فاقترب الرجل من رسول الله ﷺ ليغدر به فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه من إزاره

فقال : يا رسول الله هذا غادر

فقال الرجل : دمي دمي يا محمد

أي اتركوا دمي ولا تقتلوني

فقال له النبي ﷺ : اصدقني ما أنت؟ وما أقدمك؟

فإن صدقتني فنفعك الصدق وإن كذبتني قد اطلعت على ما أهممت به

قال الرجل : فأنا آمن

أي تعطيني الأمان

قال النبي ﷺ : فأنت آمن

فأخبره الرجل بخبر أبي سفيان وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم ، ثم استأذن النبي ﷺ وخرج من عنده

وقال النبي ﷺ لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم : اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه

فخرج عمر بن أمية ، وسلمة بن أسلم رضي الله عنهما حتى أتيا مكة فطافا بالبيت سبعا ، وصليا ركعتين فعرفهما معاوية بن أبي سفيان فأخبر أباه

تجمع أهل مكة لقتلهما فهرب عمرو وسلمة إلى الجبل وخرج أهل مكة في البحث عنهما ولكن عمرا وسلمة دخلا غارا فباتا فيه حتى أصبحا

فأقبل رجل من مكة نحو الغار فلما اقترب من الغار قتله عمرو فسقط وصاح صيحة أسمعت أهل مكة فلما أقبلوا نحوه سألوا الرجل : من قتلك؟

فقال : عمرو بن أمية الضمري ولم يستطع أن يخبرهم عن مكانهما لأنه كان بآخر رمق فمات

فانشغل أهل مكة بالرجل عن البحث عن عمرو وسلمة رضي الله عنهما ومكث عمرو ، وسلمة في الغار ليلتين

ثم قال سلمة لعمرو : يا عمرو هل لك في خبيب بن عدي ننزله؟ وكان مصلوبا ، صلبه بنو الحارث

فقال عمرو : أين هو؟

فقال سلمة : هو ذاك مصلوب وحوله الحرس

فقال عمرو : أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئا فاركب بعيرك وائت رسول الله ﷺ وأخبره الخبر ودعني فإني عالم بالمدينة

ثم أسرع عمرو نحو خبيب رضي الله عنه فحمله بجذعه على ظهره فما مشى به إلا عشرين ذراعا حتى استيقظ أهل مكة على صوت الجذع حينما وقع فخرجوا في أثره فألقى عمرو خبيبا ثم أهال عليه التراب ثم أسرع نحو المدينة فلم يستطع أحد أن يلحق به ثم قدم على رسول الله ﷺ ، وفي ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة خرج النبي ﷺ إلى يهود بني النضير حتى يعينوه في دية القتيلين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وكان ذلك حينما رجع عمرو بن أمية من بئر معونة للعهد الذي كان رسول الله ﷺ

عقد لهما فلما أتى رسول الله ﷺ يهود بني النضير يستعينهم في دية هذين القتيلين

قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه وجلس رسول الله ﷺ وأصحابه إلى جنب جدار من بيوت اليهود

فقال بعض يهود بني النضير لبعض : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فصعد أحدهم ليلقي صخرة على النبي ﷺ ، فنزل جبريل على رسول الله ﷺ يعلمه بما هموا به فنهض رسول الله ﷺ راجعا إلى المدينة ، ثم تجهز وخرج بنفسه لحربهم ، واستعمل على المدينة [ابن أم مكتوم] رضي الله عنه وتحصن بنو النضير بحصونهم فحاصرهم النبي ﷺ ست ليال وأمر رسول الله ﷺ بقطع نخيل بني النضير وتحريقها

فنادوه : أي يا محمد - قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها؟

فأنزل الله عز وجل

"مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ"

لينة : أي نخلة صغيرة

وأرسل رهط من بني عوف منهم عدو الله [عبد الله بن أبي] إلى يهود بني النضير أن اثبتوا فإنا لن نسلمكم وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم فلم يفعلوا

ونزل قول الله تعالى

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ▪ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ▪ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ▪ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ▪

وقذف الله تعالى في قلوب بني النضير الرعب ، وسألوا رسول الله ﷺ أن يرحلوا من ديارهم ولا يقتلوا على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ففعل رسول الله ﷺ ، فحملوا من أموالهم ما استطاعوا حمله فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وحملوا النساء والصبيان ورحلوا على ستمائة بعير ، فذهبت طائفة منهم إلى خيبر منهم زعيمهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ، وذهبت طائفة منهم إلى الشام وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا ، وأسلم منهم رجلان فأخذا أموالهما

وفي جمادى الأولى من السنة الرابعة من الهجرة توفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد رضي الله عنه ، وكان رضيع رسول الله ﷺ

وأمه هي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم برّة بنت عبد المطلب

وكان أبو سلمة رضي الله عنه ، قد أسلم في اليوم الذي أسلم فيه أبو عبيدة ، وعثمان ، والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنهم

وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة

وشهد بدرا وأحدا ، وجرح يوم أحد ثم برئ ، ثم خرج في سرية ، ثم رجع فأقام بالمدينة سبعة عشرة يوما ، ثم انتقض عليه جرحه الذي كان يوم أحد ، فمات رضي الله عنه ، ومات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما في جماد الأولى من السنة الرابعة من الهجرة وهو ابن ست سنين ، وهو ابن رقية بنت رسول الله ﷺ وصلى عليه رسول الله ﷺ

وفي شهر شعبان من السنة الرابعة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ لموعده الذي واعده أبا سفيان عند انصرافه من أحد حيث قال : موعدكم وإيانا العام القابل ببدر ، فخرج رسول الله ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه فلما انتهى إلى بدر ، أقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين ، وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة وهم ألفان فلما كانوا في أثناء الطريق قال لهم أبو سفيان : إن العام عام جدب وقد رأيت أن أرجع بكم فانصرفوا راجعين وأخلفوا الموعد

سميت هذه بدر الموعد ، وتسمى بغزوة بدر الآخرة

في شهر شعبان من السنة الرابعة من الهجرة ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فسماه علي رضي الله عنه حربا ، فجاء به رسول الله ﷺ

فقال : أروني ابني ما أسميتموه؟

فقال علي : [حربا]

قال رسول الله ﷺ : بل هو [حسين]

فسماه علي حسينا

وفي شوال من السنة الرابعة من الهجرة تزوج النبي أم سلمة بنت أبي أمية ، وكانت رضي الله عنها متزوجة قبله ﷺ من [أبي سلمة] فلما انتهت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ

تقول أم سلمة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ : إِنَّا لِله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أْجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إلا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ "

قُالتُ : أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولما تزوجها رسول الله ﷺ أقام عندها ثلاثة فلما أراد أن يخرج أمسكت بثوبه

فقال رسول الله ﷺ : إن شئت زدتك وحاسبتك به للبكر سبع وللثيب ثلاث ، أي يجب للزوجة البكر الجديدة مبيت سبع من الليالي ، أما الثيب فيجب لها مبيت ثلاث من الليالي ، ولما قدم النبي ﷺ المدينة أتي بزيد بن ثابت رضي الله عنه

فقالوا : يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة ، فأعجب ذلك النبي ﷺ

وقال : يا زيد تعلم لي كتاب يهود ، فإني والله ما آمن يهودا على كتابي

قال زيد رضي الله عنه : فتعلمت له كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته

أي فهمته وحفظته

يقول زيد : وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه ، وأجيب عنه إذا كتب

وهذا ذكاء مفرط جدا من زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وجاء اليهود رسول الله ﷺ بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود

فقال : ما تجدون في التوراة على من زنى؟

قالوا : نسود وجوههما

أي بالفحم ونحملهما أي على الجمال

ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما

قال ﷺ : فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين فجاؤوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديه وما وراءها

قال له عبد الله بن سلام : مره يا رسول الله فليرفع يده فرفعها فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما

لما بلغ رسول الله ﷺ أن [بدومة الجندل] جمعا كثيراً يريدون حربه والنيل من أطراف المدينة ، خرج إليهم ومعه ألفا من المسلمين .

فلما اقترب منهم لم يجدهم فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب بعضهم وهرب البعض الآخر، ولما علم أهل دومة الجندل بما فعل رسول الله ﷺ تفرقوا ونزل النبي ﷺ بأرضهم فلم يجد فيها أحدا فأقام ﷺ أياماً ثم رجع إلى المدينة ، وأتى النبي ﷺ أربعمائة من مزينة وفيهم [النعمان بن مقرن] رضي الله عنه فأمرهم

رسول الله ﷺ بأمره وزودهم من التمر ، وقد ذكر النبي ﷺ أنهم من خاصته فقال قريش ، والأنْصَارُ ، وَجُهَيْنَة ، وَمُزَيْنَةُ ، وأسْلَمُ ، وَغِفَارُ ، وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ ليس لهم مولي دُونَ اللّه وَرَسُولُهُ

موالي : أي أنصاري والمختصون بي

ولما رجع [سعد بن عبادة] رضي الله عنه من غزوة دومة الجندل ماتت أمه فدفنها وصلى عليها

فقال سعد رضي الله عنه : يا رسول الله إن أمي ماتت فجأة وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟

قال : نعم

فقال : يا رسول الله ؛ فأي الصدقة أفضل؟

قال : الماء ، فحفر سعد بئرا وقال : هذه لأم سعد رضي الله عنها

وبلغ رسول الله ﷺ أن سيد بني المصطلق الحارث بن أبي زرار جمع قومه ، ومن قدر عليه من العرب لحرب رسول الله ﷺ

فبعث رسول الله ﷺ [بريدة بن الحصيب] ليأتيه بخبرهم فلما أتاهم كلم الحارث بن أبي زرار ، ورجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبرهم ، فحث رسول الله ﷺ المسلمين على الخروج فامتثلوا أمره ﷺ وخرج ﷺ في آخر شهر شعبان ، فلما علم الحارث بن أبي زرار بمسير رسول الله ﷺ إليه خاف خوفاً شديداً وتفرق عنه من كان معه من العرب ، وانتهي رسول الله ﷺ إلى موضع ماء يسمى [المريسيع] فضرب عليه قبته ومعه عائشة رضي

الله عنها ، فلما تهيأ المسلمون للقتال أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يحملوا على [بني المصطلق] حملة رجل واحد فكانت النصرة وانهزم بنو المصطلق وقتل من قتل منهم وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وأطفالهم وغنم مواشيهم ، ولما قسم رسول الله ﷺ السبايا وقعت [جويرية] في سهم [ثابت بن قيس بن الشماس] فكاتبته على عتقها

أي ستعطيه مالا في سبيل أن يعتقها ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في عتقها

فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بنت أبي زرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ووقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس فكاتبته على نفسي فجئتك استعينك على كتابتي

فقال لها رسول الله ﷺ : فهل لك في خير من ذلك؟

قالت : وما هو يا رسول الله؟

قال : أقضي كتابك وأتزوجك

يعني : أعتقك وأتزوجك

قالت: نعم يا رسول الله

قال : قد فعلت ، وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث

وقال المسلمون : أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا ما بأيديهم من أسارى بني المصطلق

تقول عائشة : فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، وفي

مرجع النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق نزلوا في أثناء الطريق فخرجت عائشة رضي الله عنها لقضاء حاجتها ، فلما رجعت فقدت عقدا كانت أعارتها أختها إياه فرجعت تبحث عنه في الموضع الذي فقدته فيه فجاء النفر الموكل بحمل هودج عائشة رضي الله عنها فظنوها فيه فحملوا الهودج ثم ساروا ، فرجعت عائشة رضي الله تعالى عنها إلي موضع الهودج وقد وجدت العقد فلم تجد أحدا فقعدت وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها ، والله عز وجل غالب على أمره يدبر الأمر فوق عرشه كما يشاء فغلبتها عيناها رضي الله عنها فنامت فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل : إنا لله وإنا إليه راجعون زوجة رسول الله ﷺ ، وكان صفوان في أخريات الجيش لأن الرسول ﷺ كان يجعل رجلاً يتأخر عن الجيش إذا رحل، الناس ثم يتبعهم فمن سقط منه شيء أتاه به

فلما رأى صفوان عائشة عرفها وكان يراها قبل نزول الحجاب فأناخ راحلته ثم قربها إليها فركبتها وما كلمها كلمة واحدة ولم تسمع منه إلا استرجاعه

أي قوله : إنا لله وإنا إليه راجعون

ثم سار بها يقودها حتى قدم بها وقد نزل الجيش في منتصف الظهيرة

فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ، ووجد الخبيث عدو الله [عبد الله بن أبي] متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه وكان أصحابه يتقربون إليه بالحديث عن الإفك ، فلما قدموا المدينة ففاض أهل الإفك في الحديث ورسول الله ﷺ ساكت لا

يتكلم وظلت عائشة رضي الله عنها مريضة شهرا والناس يشيعون قول أصحاب الإفك وما كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تعلم بما يقول الناس ، والذي جعل عائشة رضي الله عنها تشك وتتوهم في حصول أمر أنها لم تر من رسول الله ﷺ اللطف الذي كانت تراه عندما تمرض وإنما كان النبي ﷺ يدخل عليها

ويقول : كيف تيكم ؟

وتيكم : إشارة إلى المؤنث

فلما برأت عائشة رضي الله عنها من مرضها علمت بما يقوله أهل الإفك وذلك حين خرجت هي وأم مسطح لقضاء حاجتهما في الصحراء فلما رجعتا تعثرت أم مسطح في ثوبها

فقالت : تعس مسطح

فقالت لها عائشة : بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدرا

فقالت : يا هنتاه - أي يا هذه - ألم تسمعي ما قالوا؟

فأخبرتها بما قال أهل الإفك فازدادت عائشة رضي الله عنها مرضا على مرضها ، فلما رجعت إلى بيتها دخل عليها رسول الله ﷺ فسلم عليها

وقال : كيف تيكم؟

فقالت : ائذن لي في أبوي حتى تستيقن الخبر منهما ، فأذن لها رسول الله ﷺ فأتت أبويها

وقالت لأمها : ما يتحدث به الناس

فقالت : يا بنية هوني على نفسك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ، ولها ضرائر إلا أكثرن عليها

وضيئة : أي جميلة

وضرائر : أي زوجات لرجل واحد

فقالت عائشة : سبحان الله ؛ ولقد يتحدث الناس بهذا فباتت تلك الليلة لم تنم حتى أصبحت ولم ينقطع لها دمع ، فلما تأخر نزول الوحي دعا رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب وأسامة بن زيد ، يستشيرهما في فراق عائشة رضي الله عنها ، فأشار عليه أسامة بإمساكها وأن لا يلتفت إلى كلام الأعداء ، وذلك لأنه علم حب رسول الله ﷺ لعائشة ولأبيها ، وعلم عفتها ، وبراءتها ، وحصانتها ، وديانتها .. ما هي فوق ذلك وأعظم منه .. وأن رسول الله ﷺ أكرم على ربه وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغية

وأما علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك ، فقد رأى علي رضي الله عنه أن ما قيل مشكوك فيه فأشار على رسول الله ﷺ بترك الشك والغيبة إلى اليقين ، وذلك ليتخلص رسول الله ﷺ من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس فأشار بحسم الداء ، وسأل رسول الله ﷺ زينب بنت جحش عن أمر عائشة رضي الله عنها فقال : يا زينب ما علمت؟ ما رأيت؟

فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً فقد عصم الله عز وجل زينب بنت جحش بالورع وقد كانت

تضاهي عائشة رضي الله عنها في مكانتها عند رسول الله ﷺ

ودعا النبي ﷺ بريرة

فقال : يا بريرة ، هل رأيت فيها شيء يريبك؟

فقالت بريرة : لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا أغمسه عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن

أغمسه : أي أعيبه

فقالت بريرة : تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله الداجن - هي الشاة التي تألف البيت- فقام رسول الله ﷺ من يومه وظلت عائشة رضي الله تعالى عنها عند أبويها تبكي ليلتين ويوماً ولا يجف لها دمع ولا تنام ، وبينما هي كذلك إذ جاءت امرأة من الأنصار فجلست تبكي معها وبينما هما كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يكن يجلس عندها من يوم إشاعة حديث الإفك ، ومكث رسول الله ﷺ شهرا لا يوحيى إليه في شأنها شيء ، فتشهد رسول الله ﷺ

ثم قال : يا عائشة ، فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه ، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته انقطع دمع عائشة رضي الله عنها

وقالت لأبيها : أجب عني رسول الله ﷺ

فقال لها : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ

فقالت لأمها : أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال

فقالت أمها : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ

وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها حينئذ جارية حديثة السن ، لم تقرأ كثيرا من القرآن

فقالت : إني والله لقد علمت ، أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس وصدقتم به، ، ولئن قلت لكم : إني بريئة ، والله يعلم أني لبريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني بريئة لتصدقني ، والله ما أجد لي لكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

ثم تحولت عائشة رضي الله عنها على فراشها و اضطجعت وهي ترجو أن يبرئها الله تعالى وما ظنت أن الله ينزل في شأنها وحيا

وكانت ترى في نفسها أنها أحقر من أن يتكلم القرآن في أمرها وإنما كانت ترجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئها الله بها

فما قام أحد من مجلسه هذا حتى نزل الوحي على رسول ﷺ فلما سرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك

فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لها رضي الله عنها : يا عائشة ، احمدي الله فقد برأك الله

فقالت لها أمها : قومي إلى رسول ﷺ

فقالت عائشة : لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله

وأنزل الله عز وجل قوله

"إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ " إلى آخر الآيات.

فلما أنزل الله عز وجل هذا في براءتها ، قال أبو بكر رضي الله عنه ، وكان ينفق على [مسطح بن أثاثة] لقرابته منه : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة

فأنزل الله عز وجل

"وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"

فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي .. فأنفق على مسطح

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل عليه من القرآن في ذلك .. ثم أمر بمن أفصح بالفاحشة فحده ثمانين جلدة وهو حد القذف ، إلا أنه ترك الخبيث عبد الله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك وذلك لأن الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو بينة ، وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد لأنه كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه

لما رأى اليهود انتصار المشركين على المسلمين يوم أحدو علموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين في العام المقبل خرج أشرافهم] سلام

بن أبي الحقيق] و [سلام بن مشكم [إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ ووعدوهم أنهم سيعاونونهم

وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فأجابتهم قريش ، ثم خرج أولئك النفر من اليهود إلى غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيعاونونهم وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك

فاجتمعوا معهم ، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف

ووافتهم بنو سليم في أثناء الطريق ، وخرجت بنو أسد ، وفزارة ، وأشجع ، وبنو مرة ، وجاءت غطفان وقائدهم : عيينة بن حصن ، فكان عدد من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف ، ولما سمع رسول الله ﷺ بمسير المشركين استشار أصحابه في ذلك

فأشار عليه [سلمان الفارسي] رضي الله عنه بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة فعمل النبي ﷺ بمشورة سلمان وأمر بحفر الخندق ، فسارع إليه المسلمون وشاركهم رسول الله ﷺ في الحفر وكانت الأنصار تقول نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا ، وكان النبي ﷺ يجيبهم

قائلا : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة

وكان المنافقون يتسللون إلى أهليهم بغير علم رسول الله ﷺ

أما المؤمنون فكانت إذا أصابت أحدهم حاجة لا بد منها استأذن رسول الله ﷺ ثم رجع مرة أخرى

وأنزل الله عز وجل في ذلك قوله

"إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ▪ إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ▪ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"

وأيد الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بعدة معجزات أثناء حفر الخندق منها ، أن صخرة صلبة من الأرض عرضت للمسلمين أثناء حفر الخندق فكان لا يؤثر فيها المعول ، فجاؤوا إلى النبي ﷺ فذكروا ذلك له ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فتفتت حتى صارت كالرمل ينهال ، وكان عدد المسلمين الذين خرجوا للخندق ثلاثة آلاف .. وتحصنوا بجبل سلع

كان الجبل خلف ظهورهم .. وكان الخندق أمامهم بينهم وبين الكفار

وأمر النبي ﷺ بالنساء والأطفال فجعلوا في حصون المدينة واستخلف عليها [ابن أم مكتوم] رضي الله عنه ، وانطلق [حيي بن أخطب] إلى بني قريظة فلما اقترب من حصنهم أبى [كعب بن أسد] أن يفتح له فلم يزل يكلمه حتى فتح له لما دخل عليه لم يزل يكلمه حتى نقض كعب العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ ، ودخل مع المشركين في محاربة النبي ﷺ ، ولما بلغ رسول الله ﷺ أن بني قريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين بعث إليهم جماعة من أصحابه يتأكدوا من صحة هذا الخبر فلما رجعوا أخبروه بأنهم نقضوا العهد فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف وأتى المسلمين العدو

من كل جانب حتى ظن المؤمنون كل ظن، وحينئذ قال رسول الله ﷺ : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين

ونزل قول الله تعالى

"إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ▪ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً"

وظهر النفاق من بعض المنافقين حتى قال بعضهم : كان محمد يعدنا أن نأكل كسور كسرى وقيصر واليوم لا يأمن أحدنا على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وكان رسول الله ﷺ يدعو على الأحزاب

فيقول : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم ، وظل المشركون محاصرين لرسول الله ﷺ شهرا ولم يكن بينهم قتال لأجل الخندق بينهم وبين المسلمين ، إلا أن جماعة من المشركين اقتحموا الخندق وجالت بهم خيلهم بين الخندق وسلع ودعوا المسلمين إلى المبارزة ، فخرج جماعة من المسلمين منهم (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) فبارزهم فقتل علي عمر بن عبد ود وكان من شجعان المشركين وأبطالهم ، فهربت خيل المشركين منهزمة ، وشغل المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى كادت الشمس تغرب فدعا عليهم رسول الله ﷺ قائلا : ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس ، واستشار رسول الله ﷺ سعد بن معاذ و سعد بن عبادة رضي الله عنهما في مصالحة [عيينة بن حصن] و الحارث بن عوف رئيسي غطفان على (ثلث) ثمار المدينة وينصرفا بقومهما

فقالا : يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة وإن كان شيئا تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه ، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا

قرى : أي ضيافة

فحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف ، فصوب رسول الله ﷺ رأيهما

وقال : إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة

أي اجتمعت عليكم

ثم جاء رجل من غطفان يقال له نعيم بن مسعود

فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت

فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة

خذل : أي ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة

فقال : يا بني قريظة ؛ إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم

البلد بلدكم فيه أموالكم ، وأبناؤكم ، ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تذهبوا منه إلى غيره إن قريشا وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد

وأصحابه وقد ناصرتموهم عليه ، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن أصابوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم

قالوا : فما العمل يا نعيم ؟

قال : لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن من أشرافهم

قالوا : لقد أشرت بالرأي

ثم خرج نعيم حتى أتى قريشا

فقال لهم : إن معشر يهود ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه ، وإنهم قد أرسلوا إليه : أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟

فأرسل إليهم : أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ، ثم خرج حتى أتى غطفان

فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم ، فلما كانت ليلة السبت بعث المشركون إلى اليهود أن انهضوا بنا حتى نقاتل محمدا فأرسل إليهم اليهود يطلبون رهائن فأرسل المشركون إلى اليهود إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فعلمت يهود بني قريظه صحة ما ذكر لهم نعيم فخذل الله عز وجل بينهم ، وأرسل الله عز وجل على المشركين جندا من الريح فجعلت تطرح خيامهم ولا تدع لهم قدرا إلا كفأتها ولا يقر

لهم قرار وجند الله من الملائكة يزلزلونهم ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف

ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف

الكراع : أي الخيل ، والخف : أي الإبل

وأخلفتنا بنو قريظه ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل ، ولما أصبح رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم انصرفوا عن الخندق راجعين إلى المدينة ووضعوا السلاح وقد رد الله عز وجل عدوه بغيظه لم ينالوا خيرا ، فكفاه الله قتالهم فصدق وعده وأعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، وقال ﷺ حين هرب الأحزاب عنه : الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم ، وهذه الغزوة مشهورة عند أهل السير والمغازي بغزوة الخندق وتسمى أيضا بغزوة الأحزاب

أسئلة الدرس

السؤال الأول

ما هو دور معبد الخزاعي رضي الله عنه في غزوة حمراء الأسد؟

السؤال الثاني

من من زوجات رسول الله ﷺ تزوجها بأمر الله سبحانه وتعالى؟

السؤال الثالث

لماذا أرسل رسول الله ﷺ أبا سلمة رضي الله عنه إلى طليحة الأسدي؟

السؤال الرابع

ما سبب سرية الرجيع؟

السؤال الخامس

ما سبب إجلاء يهود بني النضير عن المدينة؟

السؤال السادس

من من نساء النبي ﷺ تزوجها في السنة الرابعة من الهجرة؟

السؤال السابع

لماذا غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق؟

السؤال الثامن

في أي غزوة افترى المنافقون على أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها حادثة الإفك؟

السؤال التاسع

من الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق؟

السؤال العاشر

من الذي جعل بني قريظة ينقضون عهد رسول الله ﷺ؟

نكتفي بهذا القدر والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته